والحقيقة، أن القوات الاسرائيلية كانت تريد اقتطاع بعض الأراضي اللبنانية الجنوبية، وتهجير اللبنانيين من قراهم وأراضيهم كي تتسع المناطق الشمالية لفلسطين؛ وذلك تنفيذا للمشروعات الاسرائيلية القديمة. وكان لبنان، في الوقت نفسه، قد بدأ يئن من وطأة اللاجئين الفلسطينيين، لا سيما الفقراء منهم، فقد صرح وزير المال اللبناني آنذاك، حسين العويني، قبل عودته من القاهرة إلى بيروت، لصحيفة «المصري» قائلاً: إن ميزانية لبنان تبلغ ٦٨ مليون ليرة ينفق منها على اللاجئين الذين يبلغ عددهم ١٣٠ ألف لاجيء نحو مليون ليرة في الشهر، «وهذه نسبة غير قليلة من الميزانية اللبنانية كلها. ومع ذلك فان لبنان يشعر بشعور الاخوة نحو هؤلاء المنكوبين الذين شردوا من ديارهم ويرجو أن تهيء له الظروف وسائل تكفي لتحسين أحوالهم»[٣]؛ علما بأن الفلسطينيين كانوا لا يريدون مثل هذه المساعدات بقدر ما كانوا يريدون اعادة تسليحهم وتجنيدهم لاستعادة أراضيهم.

ففي هذه الفترة من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩، عقد اجتماع فلسطيني في بيروت عرف باسم «الاجتماع العربي الفلسطيني»، طالب فيه المجتمعون، عبر بيان أصدروه، بأن يُعنى العرب بمشكلة فلسطين؛ لأن مشكلة اللاجئين ليست «قضية غذاء وكساء ومأوى بقدر ما هي قضية شرف وكرامة ومستقبل شعب وأجيال»؛ ونددوا بالمواقف العربية المسؤولة عن هزيمة فلسطين، وعن المذابح التي جرت بحقهم في عدة مناطق فلسطينية؛ وطالبوا بتزويد الفلسطينيين بالسلاح والعتاد والمال، ليقاتلوا في سبيل بلادهم وفي سبيل العودة إلى ديارهم»[٤].

ومن الأهمية بمكان القول إن لبنان والدول العربية لم تستجب لنداءات الفلسطينيين المطالبة بتسليحهم وتدريبهم، بل اعتبرت أن الحل الدبلوماسي هو الحل الأفضل لمشكلة فلسطين، وأن بريطانيا لا تزال الدولة الصديقة والقادرة على حل المعضلة الفلسطينية. وانطلاقا من هذين الاعتبارين، كان رئيس الوزراء اللبناني آنذاك، رياض الصلح، على اتصال ومشاورات دائمة مع الوزير البريطاني المفوض في بيروت. ففي ١٤ كانون الثاني (يناير)، أكد بوسويل، في برقية أرسلها إلى وزارة خارجيته أن رئيس الوزراء اللبناني اتصل به صباحا وبقي يحادثه ما يزيد على الساعة، وأن معظم الحديث كان عن فلسطين. ومما قاله الوزير البريطاني أيضا: أن رئيس الوزراء، «في الوقت الحاضر»، كان كرئيس الجمهورية متأثرا جدا من تفكك الحكومات العربية، وقد عبر عن أمله بأن حكومة جلالته لن تبخل ببذل أقصى جهودها، وسريعا، من أجل السياسة العربية التي هي، في حالتها الراهنة، مهمة لبريطانيا بالقدر نفسه الذي هي فيه مهمة للعرب أنفسهم. ونصح بالتدخل البريطاني، أي أن ترسل بريطانيا ممثلاً لها بحيث يكون عنده قوة اقناع لتوحيد العرب نظرا للأخطار المحدقة بهم حاليا. ويضيف بوسويل أنه أجابه: تأكد بأن جميع ممثلي بريطانيا هم في عمل مستمر[٥].

والجدير بالذكر، أن رياض الصلح ذكر أيضا بعض الأمور الخطيرة للوزير البريطاني فإضافة إلى تخوفه من تدخل أميركي في المنطقة قال: إن الفرنسيين يشعرون